الحركات الإسلامية في فلسطين (النشأة– الأهداف)
(دراسة تحليلية)

سائد نبيه عاشور الغول

الملخص:

لم تشهد الأقطار العربية في ثوراتها الوطنية ضد المستعمر – في خاتمة القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن الفائت – أي تمايز بين الوطنية والإسلامية، بل إن الوطنية قد توحدت في الإسلامية، وقد تجلى هذا التوحد خصوصًا في الساحة الفلسطينية، فتاريخ المنطقة وتاريخ القضية الفلسطينية يشهدان بأن الإسلام ومقاومة المستعمر لم ينفصلا، بل كان الدين إلى حد بعيد يشكل أرضية أيديولوجية تعبوية لحركات التحرر الوطني.

وقد استمرت هذه الحالة التمايزية، إلى أن ظهرت حركات الإسلام السياسي في فلسطين، فقد شهدت الساحة الفلسطينية منذ ثمانينيات القرن المنصرم حضورًا فاعلاً ووجودًا بارزًا للحركات السياسية الإسلامية، ورغم أن التيار الإسلامي في فلسطين يضم مجموعة من الحركات والجماعات الإسلامية، وهي جماعة الإخوان المسلمين وتشكيلها الجديد (حماس)، وحركة الجهاد الإسلامي، وحزب التحرير الإسلامي، والصوفيون، والسلفيون، والتكفير والهجرة، على الرغم من أن عدد من هذه الجماعات غير مهتم بالعمل السياسي ولا يمارسه، ويقتصر دوره على الجانب الديني الدعوي.

وقد عبرت حركتي حماس، كامتداد لجماعة الإخوان المسلمين، والتي تشكل الثقل الأكبر من حيث انتشارها ونفوذها وتأثيرها على مجريات الأمور على الساحة الفلسطينية، إضافة إلى حركة الجهاد الإسلامي، عن دور مميز تلعبه الحركات الإسلامية التي تجاوزت فيه الجانب الدعوي الخدمي لتنطلق نحو الفعل السياسي المؤثر، مما ترك أثره على المشروع الوطني الفلسطيني.

Abstract:

Did not witness the Arab countries in the revolutions National against the colonizer - at the conclusion of the nineteenth century until the mid last century - any diCferentiation between national and Islamic, but the National has united the Islamic. has been demonstrated that autism, especially in the Palestinian arena, history of the region and the history of the Palestinian cause attest that islam and the resistance to the colonizer not separated, but religion was to a large extent is a ground tactical ideology of national liberation movements.

Has continued this case differential, to be featured movements of political Islam in Palestine, has seen the Palestinian arena since the eighties active presence and a presence prominent political movements Islamic, and despite the fact that the Islamic movement in Palestine, featuring a range of movements and Islamist groups. nameR the Muslim Brotherhood and formed the new (Hamas) and Islamic Jihad, the Islamic Liberation Party. and mystics, and Salafis. atonement and immigration, despite the fact that a number of these groups are not interested in political action and Aimarssh, and its role is limited to the religious aspect of the proceedings.

Has crossed the rival Harnas, as an extension of the Muslim l3rotherhood, which constitute the greatest weight in terms of their spread and its influence on the course of events in the Palestinian arena, in addition to Islamic Jihad. about the role of Senior play Islarnist movements that exceeded the side advocacy service to start toward political action moving, leaving an impact on the Palestinian national project.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث في التناقضات التي تعيشها الحركات الإسلامية، وبالتحديد حركة حماس من خلال انتقالها من حركة مقاومة للاحتلال ومعارضة لاتفاقيات السلام الفلسطينية الإسرائيلية إلى حزب السلطة. من هنا فقد أثيرت مخاوف وتساؤلات حول مستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، في إشارة للأثر الذي يمكن رصده.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في:

١. التعرف على نشأة التيار الإسلامي في فلسطين.
٢. بحث المنطلقات العقائدية والفكرية والسياسية والمخرجات العملية للحركات الإسلامية.

أهداف البحث:

١. التعرف على تاريخ نشأة التيار الإسلامي في فلسطين.
٢. التعريف بحركة حماس (النشأة – الأهداف – الوسائل).
٣. التعريف بحركة الجهاد الإسلامي (النشأة، الأهداف، الوسائل).

وفي ضوء ذلك تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول : نشأة التيار الإسلامي في فلسطين.
- المبحث الثانى : حركة حماس (النشأة، الأهداف، الوسائل).
- المبحث الثالث : حركة الجهاد الإسلامي (النشأة، الأهداف، الوسائل).

أولاً: نشأة التيار الإسلامي في فلسطين:

يمثل الدين الإسلامي بالنسبة للمجتمعات الإسلامية المرجعي الذي تستمد منه هذه المجتمعات هويتها وكينونتها، بما له من قدرة حركية وتنظيمية وروحية قادرة على قيادة هذه المجتمعات، وإذا نظرنا إلى المجتمع الفلسطيني فسوف نجد أن الدين يمثل واحدة من الخصائص الأساسية المميزة له. فالدين يمثل مكانة خاصة في نفوس الشعب الفلسطيني مما أظهر صيغًا واضحة للتمازج بين الدين والسياسة في الأراضي الفلسطينية المتمثلة عبر ظهور حركات وتنظيمات ترفع شعار الدمج وتنادي بشمولية

الإسلام في كافة مفاصل الحياة وبالتحديد الحياة الوطنية وهذا ما برز في طبيعة الصراع العربي.

الإسرائيلي بتداعياته وتصورات حلوله، ضمن علائقية تمتد زمنيًا بشكل أو بآخر إلى ما قبل حرب عام ١٩٤٨ حتى الوقت الراهن[١].

تجسدت إحدى شواخص التيار الإسلامي في حركة الشيخ عز الدين القسام الذي يعتبر رمزًا للتيار الإسلامي الجهادي في فلسطين، فترأس جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٨، والتي لعبت دورًا بارزًا في العمل السياسي وتعبئة المشاعر الإسلامية ضد الأهداف الصهيونية، والدعوة إلى الثورة والاستشهاد في سبيل الله واعتبار أن الجهاد واجب ديني وطريق لتحرير فلسطين وليس المفاوضات السياسية[٢].

ومع ازدياد الخطر الصهيوني على فلسطين، فقد دفع عدد من الشيوخ والعلماء المسلمين للتطوع دفاعًا عن الدين والأرض، وإجراء تدريبات عسكرية تحت شعار محاربة الأعداء، وكان ذلك تمهيدًا لإعلان الجهاد في عام ١٩١٤، فيما شهد عام ١٩١٩ حراكًا نشطًا من قبل جمعيات عربية بارزة في القدس تجسدت عبر مظاهرات طالبت بالاستقلال والتصدي للهجرة والاستيطان الصهيوني[٢].

وقد شكلت تلك المرحلة مثالاً لتجسيد وحدة الوطني والإسلامي التي سادت تلك الفترة.

وعلى الرغم من أن أغلب التيارات السياسية التي ظهرت في الفترة التي تلت حرب العام ١٩٤٨، كانت تتواجد بشكل أو بآخر في الفترة التي سبقتها، فإن الوتيرة المتسارعة لنموها، وتمحورها حول أيديولوجية سياسية، واضحة المعالم، كان لا يمكن له أن يتم دون حرب العام ١٩٤٨.

ولذا كان لابد "لظاهرة الحركية الإسلامية" أن تنظر حتى منتصف الأربعينات كي تتصدى للعمل السياسي بناء على رؤية إسلامية سياسية ناضجة، هذه الظاهرة التي تمثلت بجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين. وهذا يقودنا بالضرورة للتعرف على هذه الحركة التي سجلت لاحقًا حضورًا فاعلاً ومميزًا، ومن خلالها نشأت حركات إسلامية فلسطينية اعتبرت حلقة من حلقاتها، وبالتحديد حركة المقاومة الإسلامية" حماس.

أولاً: نشأة جماعة الاخوان المسلمين في فلسطين:

تعود بدايات نشوء جماعة الإخوان المسلمين بشكل عام في مصر إلى أواخر العشرينيات. ففي آذار/ مارس ١٩٢٨ ظهرت في مدينة الإسماعيلية جماعة الإخوان المسلمين بزعامة حسن البنا، وجاء ظهور جماعة الإخوان المسلمين مواكبًا لظهور عدد من التنظيمات والحركات الدينية التي عبرت عن رفضها عمليات التغريب والتحديث الاجتماعي والسياسي التي تعرضت لها مصر في تلك الحقبة[٣].

تجسد الحضور الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين في عام ١٩٣٥، من خلال العمل التعبوي والمقالات الصحفية، والبيانات التنظيمية، غير أن أول إشارة تظهر سعي الإخوان المسلمين لنشر دعوتهم كانت عندما انتدبت الجماعة اثنين من الإخوان، هما عبد الرحمن الساعاتي شقيق المرشد العام للجماعة في مصر، والأستاذ محمد أسعد الحكيم، كمبعوثين عن الجماعة الأم، لإنشاء أول فروعهم في فلسطين حيث كانت حيفا أول مركز لهم[٤]. ويمكن أن نبرز دور الإخوان المسلمين في فلسطين كالآتي:

١- الإخوان المسلمون بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٧:

أ- في قطاع غزة:

شهد العام ١٩٤٩ تشكيل أول جمعية عثمانية[٥] إخوانية في قطاع غزة، بعد أن اجتمع عدد من شباب الإخوان في غزة، وتدارسوا وضع الجماعة وقرروا إنشاء جمعية تمثل غطاء يعملون تحت ظله. عرفت باسم جمعية التوحيد الإسلامية[٦].

عندما قامت ثورة ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢ في مصر، كانت علاقة الإخوان بحركة الضباط الأحرار التي قادت الثورة وثيقة، فازدهرت الحركة وازداد نفوذها لدرجة أن المراقبين اعتبروها حزب السلطة، إلا أن هذه العلاقة لم تستمر فانتكست في أعقاب اتهام الإخوان بمحاولة اغتيال زعيم الثورة جمال عبد الناصر (أحداث المنشية ١٩٥٤)[٧].

في الوقت ذاته برز على الساحة العربية الفلسطينية عدد من التنظيمات القومية السياسية، وسيطرت الأفكار العلمانية والقومية والسياسية المتمثلة في حركة القوميين العرب، وحزب البعث والناصرية، فضلاً عن التحدي الذي واجه الإخوان بعد قيام حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) التي خرجت من عباءة جماعة

الإخوان المسلمين، مركزة على هدف تحرير فلسطين، واستقطاب عدد كبير من العناصر الإخوانية من داخل القطاع أمثال: ياسر عرفات، خليل الوزي، رياض الزعنون، وغيرهم، حيث سجل تنظيم الإخوان خسارة متزايدة من عناصره لصالح التنظيم الجديد (فتح) [٨].

ب- في الضفة الغربية:

في عام ١٩٥٠ عقد مؤتمر في أريحا أسفر عن ضم الضفة الغربية إلى الأردن، ولم يصدر عن تنظيم الإخوان المسلمين في الضفة الغربية رد فعل سلبي ضد مسألة الضم، مما أوحى بأنهم مؤيدون لهذا القرار، لاسيما وأن عددًا من الشخصيات التي قادت المؤتمر كانت على ارتباط وثيق بالإخوان[٩].

وبذلك انضم تنظيم الإخوان في الضفة الغربية إلى تنظيم الإخوان في الأردن، وشكلاً تنظيميًا واحدًا هو جماعة الإخوان المسلمين في الأردن، وعدم حظر نشاط الجماعة حتى بعد أن حُظر نشاط جميع الأحزاب السياسية في عام ١٩٥٧، فظل الإخوان التنظيم الوحيد الذي يعمل بصورة قانونية، وغض النظام الأردني طرفه عن أنشطتهم وحركتهم، هادفًا من وراء ذلك إلى استغلالهم ضد التيارات القومية والناصرية التي ظهرت على الساحة الأردنية[١٠].

في تلك الفترة الزمنية اقتصر عمل الإخوان على الدعوة للإسلام سواء كنشاط فردي أو من خلال الاجتماعات في المساجد، فاهتموا بالجوانب التربوية.

٢- الإخوان المسلمون بين عامي ١٩٦٧-١٩٨٧:

مثلت هزيمة العام ١٩٦٧ علامة فارقة في المنطقة، وصدمة شديدة للعرب ولم يكن من السهل استيعابها، وبذلك فقد الفلسطينيون ثقتهم بالعرب وجيوشهم، في عملية تحرير فلسطين، وسرعان ما ظهرت تنظيمات فلسطيني جديدة كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي رأت في الهزيمة هزيمة أفكار كانت سائدة في حينه[١١].

وكانت حركة فتح، وعلى الرغم من حداثتها وقوتها العسكرية والسياسية المحدودة، القوة المهيأة، والقادرة على أخذ زمام المبادرة، خاصة بعد معركة الكرامة عام ١٩٦٨، وسيطرتها على منظمة التحرير الفلسطينية[١٢].

وكان الإخوان المسلمون الفلسطينيون سواء في قطاع غزة، حيث الارتباط بتنظيم مصر، أو في الضفة الغربية والارتباط بتنظيم الأردن، في حالة ضعف بالغ،

وبدا أن رؤيتهم لإعداد جيل التحرير، بدلت وضعهم من حركة جماهيرية شعبية في منتصف الخمسينيات إلى تنظيم محدود العضوية والشعبية في النصف الثاني من الستينيات(١٣).

بعد هزيمة عام ١٩٦٧م، أصبحت الضفة الغربية وقطاع غزة تحت سيطرة قوات الاحتلال الإسرائيلي، وبالتالي أصبح الإخوان المسلمون في الضفة الغربية والإخوان المسلمون في قطاع غزة يخضعون للحكم العسكري الإسرائيلي، وشهدت هذه الفترة تشكيل قيادة واحدة لتنظيم الإخوان المسلمين في الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة، أطلق عليها "الإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين" وبذلك انتقلت العلاقة التنظيمية لأول مرة للإخوان في قطاع غزة من مصر إلى الأردن(١٤).

وفي معترك هذه المتغيرات والظروف المحيطة نتيجة هذا الواقع الجديد، وأمام تبني المنظمات الفلسطينية استراتيجية العمل الفدائي، كان لزامًا على الإخوان الاهتمام بهذا العمل الفدائي، فأصبح هذا الموضوع هو الشغل الشاغل للإخوان.

وهنا ظهر موقف سلبي لإخوان قطاع غزة من فكرة المشاركة مستندين بذلك إلى أنها تأتي في ظل حالة من التمزق العربي، وحتى الفلسطيني الشامل ولا ترتقي إلى مستوى مهمة التحرير. وتوقعوا عدم استمرار العمل الفدائي بسبب طريقة تفكير وممارسة التنظيمات الفلسطينية التي دفعت بالنظام الأردني من أجل الحفاظ على نفسه ومصلحته إلى طرد تلك التنظيمات من الساحة الأردنية(١٥).

وانتهى الاهتمام بالعمل الفدائي مع إنهاء الوجود الفلسطيني المسلح على الساحة الأردنية بالخروج إلى الساحة اللبنانية في عام ١٩٧٠، مما يؤكد عدم جدية الإخوان في تبنيهم للعمل الفدائي بل كان ذلك تكتيكًا مؤقتًا وليس استراتيجيًا(١٦).

بعد فترة قصيرة عاد الإخوان مرة أخرى إلى ثقل الجماعة في مصر، وفيها تراجع الإخوان الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة، مرة أخرى إلى مرحلة الإعداد التربوي بعيدًا عن خطوات المواجهة الساخنة للاحتلال سواء بالكفاح المسلح أو بالمقاومة الشعبية، حيث استمر غيابهم السياسي حتى أوائل الثمانينيات(١٧).

وحسم الإخوان المسلمون أولوياتهم باستمرار الفكر الإخواني الإصلاحي، الذي يركز على القضية الاجتماعية كأولوية أولى لهم، وكان الإخوان دون قيادة فعلية بعد مغادرة إسماعيل الخالدي مسئول الجماعة في القطاع إلى الخارج، وهنا أدركوا

بأنه لابد من وجود قيادة، فعقدوا اجتماعًا اختاروا فيه الشيخ أحمد ياسين للقيادة الجماعية[١٨].

وإذا كانت الفترة ما بين الأعوام ١٩٦٧-١٩٧٥ سميت بمرحلة المساجد، فإن أعوام النصف الثاني من السبعينيات وحتى أواخر الثمانينيات سميت بمرحلة المؤسسات[١٩].

كان لهذه المرحلة ولتوجه الحركة الإسلامية فيها كبير الأثر على المرحلة التي ستلي الانتفاضة الفلسطينية الأولى، إذ ساهمت الشبكة المؤسسية الواسعة لحركة "حماس" فيما بعد، والتي ورثتها من جماعة الإخوان المسلمين، في تثبيت دعائم هذه الحركة منذ انطلاقتها، وحتى وصولها إلى قوة مؤثرة في الحياة السياسية الفلسطينية.

ومع نهاية السبعينيات كان المد الإسلامي يشق طريقه وسط الجيل الجديد، متأثرًا بمجموعة عوامل، بعضها داخلي كرد فعل على فشل الأطروحات اليسارية والماركسية وعدم نجاحها في تحقيق الشعارات المرفوعة، وبعضها خارجي كأثر القوة الإسلامية في إيران واتساع نطاق الصحوة الإسلامية في المنطقة بأسرها على وجه العموم[٢٠].

مع حلول الثمانينيات مهد انتشار عمل الإخوان المسلمين ببروز حركة الجهاد الإسلامي وتناميها بسرعة، وتنفيذها لعمليات حربية واعتمادها للفكر الإسلامي كمنطلق أساس لها. مما جعل من تلك الحركة منافسًا قويًا للإخوان، ومن هنا كان على الإخوان المسلمين أن يقوموا بخطوات جهادية للحد من تسليط الأضواء على حركة الجهاد الإسلامي خاصة بعد نشوء مجموعات سرايا الجهاد الإسلامي التي انفصل بعض عناصرها الرئيسية وقياداتها عن جسم الإخوان التي رفضت فكرة التصادم مع الاحتلال الإسرائيلي، وقد دعت تلك القيادات إلى تبني منهج المقاومة المسلحة للاحتلال[٢١].

أصبحت جماعة الإخوان المسلمين أمام هذا التصور الإسلامي الجديد الذي تبنته هذه المرة حركة الجهاد الإسلامي أمام تحدٍ كبير، وشكل واقعًا جديدًا لقيادة الجماعة جعلها تتحاور وتتناقش فيما بينها حول استخدام استراتيجية جديدة تضمن القيام بالعمل المسلح، لاسيما وأن الجماعة قد أنشأت في عام ١٩٨٣ أول جهاز عسكري لها أطلق عليه اسم "المجاهدون الفلسطينيون"، وقد اكتشفت سلطات

الاحتلال هذه الأجهزة عام ١٩٨٤، واعتقلت على خلفيتها بعض القادة الإسلاميين على القطاع[٢٢] مثل الشيخ أحمد ياسين.

تجسد التوجه الجديد القاضي بتفعيل الصدام ضد العدو المحتل، في قرار رئيسي اتخذته قيادة الإخوان المسلمين في فلسطين صيف العام ١٩٨٥، ويقوم القرار على دعوة الضوء الأخضر للمشاركة الإسلامية الطلابية في تلك التظاهرات والمسيرات وقتها[٢٣].

بدأت الجماعة تعمل وطرأت تحولات على قيادتها فتحمل عبئها الشباب الممتلئ بالحماس، وبدأ الاعتماد أكثر فأكثر على الشباب، ولعب الطلاب دورًا كبيرًا في هذه المرحلة، أما قدماء الإخوان فقد بدءوا يعملون في لجان تم تشكيلها لهذا الغرض، مثل لجان الصلح والزكاة وغيرها من اللجان[٢٤].

اعتمد الإخوان على طبيعة أهل قطاع غزة المحافظة، والمتدينة فيه، وكان من أهم الوسائل التي استخدمها الإخوان في عملية الانتشار في هذه الفترة تحديدًا المساجد، التي اعتبرت التربة الخصبة للإسلاميين وخاصة جماعة الإخوان المسلمين، ثم نشطوا في تشكيل الجمعيات الخيرية والدينية، النوادي والفرق الرياضية التي تساعدهم للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجماهير الفلسطينية، على هذه الأرضية نشأت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" كحركة اجتماعية سياسية دينية[٢٥].

ثانيًا: حزب التحرير الإسلامي:

يعتبر حزب التحرير جزء من التيار الإسلامي في فلسطين، لكنه لم يسجل لهذا الحزب أي إضافة في الحقل السياسي الفلسطيني، ولم يكن فاعلاً نتيجة خصوصية يعيشها هذا الحزب وحول نشأة هذا الحزب يمكن القول:

تأسس حزب التحرير في العام ١٩٥٣ على يد الشيخ تقي الدين النبهاني في مدينة القدس. وبناء عليه يعرف الحزب نفسه بأنه "حزب سياسي مبدؤه الإسلام، فالسياسية عمله والإسلام مبدؤه" ويقوم الحزب على الفكرة الإسلامية أي العقيدة الإسلامية، وما انبثق عنها من أفكار، موضحًا أنه قد تبنى من هذه الفكرة ما يتناسب مع عمله كحزب سياسي يعمل لإعادة الإسلام إلى الحكم. ويرى الحزب أن القضية المصيرية للمسلمين هي إقامة الخلافة فهي وحدها المؤهلة لإزاحة بريطانيا وأمريكا، والقضاء على الدولة اليهودية في فلسطين، وهي القادرة على نشر الخير في العالم. والعمل لإقامة الخلافة ونصب الخليفة، والحكم بما أنزل الله.

وعلى الرغم من وجود مواقف تنظيرية للحزب حول القضية الفلسطينية، فإنها لا تخرج عن المواقف الاعتيادية للحركات الإسلامية، كاعتبارها قضية إسلامية، وأرضًا إسلامية، وهي ليست قضية أهل فلسطين، أو العرب وحدهم، إلا أن الحزب لم يهتم بهذه القضية إلا بالحدود التي تسمح أيديولوجيته بها، فلم يخرج عن الإطار النظري والتحليل السياسي من موقع المراقب والمحاسب إلى موقع المشارك بناء على موقفه الفكري والشرعي تجاه العمل المادي الجماعي.

من خلال ما سبق يتبين أن الحزب ينطلق من مرجعية دينية فكرية، اعتقادية، يمكن أن توصف بكونها فوق تاريخية، تلتزم ممارسات جرت منذ زمن طويل كآليات وطرق عمل، دون التفات إلى متغيرات الزمان، وبعجزه عن رؤية متغيرات الواقع من حوله، فلم يسجل لهذا الحزب أي دور سياسي ملحوظ.

ثالثًا: الجماعة السلفية في فلسطين

المتتبع لسلوك وفعل التيار الإسلامي في فلسطين يلحظ ضعف وربما غياب دور وأثر الجماعات الدينية مثل السلفية وحزب التحرير كما أسلفنا في مجريات القضية الفلسطينية. فقد تركزت وضيقتها في الإطار التنظيري، ولم تحدث أي اختراق لهذا الدور الهامشي. ومع ذلك يمكن الحديث عن جماعتين سلفيتين أساسيتين في فلسطين: السلفية الدعوية، وهي منتشرة في الضفة الغربية وقطاع غزة وظهرت منذ ثمانينيات القرن الماضي، والسلفية الجهادية موجودة في قطاع غزة فقط، وظهرت في السنوات الست الأخيرة.

أ- السلفية الدعوية:

يعرف أصحاب السلفية الدعوية أنفسهم بأنهم أصحاب نهج معتدل ووسطي وليسوا عناصر متطرفة أو أصحاب ذهنية تدعو إلى العنف، ويعتبرون من يمارس هذا العنف "تكفيريين"، وليسوا من دعاة الدعوة السلفية، وبعيدين كل البعد عن التعاليم والأخلاق الإسلامية التي تدعو إلى التسامح ونبذ العنف وإراقة الدماء. وكما انتقدت السلفية أصحاب الفكر الجهادي كونهم مخترقين من أجهزة مخابرات وجهات مشبوهة تدفعهم نحو تنفيذ أجندة مظلمة، وتصل السلفية الدعوية إلى حد القول بأن ما يُسمى بالسلفية الجهادية هي تسمية مستحدثة لا أصل لها والسلفي الحقيقي هو من يتبع منهاج أهل السنة والجماعة، وكل تلك التسميات هدفها الإساءة إلى الإسلام والمسلمين[٢٦].

إلى ذلك تبدو السلفية الدعوية حذرة جدًا فيما يتعلق بالانخراط أو مقاربة العمل السياسي، حيث تؤكد السلفية بأنها لا تدخل المعترك السياسي وتدع ذلك إلى أولياء الأمر من الأمة[٢٧].

ب- السلفية الجهادية في فلسطين:

يعلن هذا التيار أنه يتبع منهج سلف المسلمين وأن الجهاد أحد أركانه، وأن الجهاد الذي يجب وجوبًا عينيًا على المسلمين يتم تطبيقه ضد العدو المحتل وضد النظام الحاكم المبذل للشريعة الإسلامية ويحكم بالقوانين الوضعية، أو النظام المبالغ في الظلم والقهر[٢٨].

فهي الجماعات أو الأفراد الذين حملوا فكرة العمل المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي أو ضد الأعداء الخارجيين، وحملوا فكرًا محددًا يقوم على مبادئ "الحاكمية" وقواعد "الولاء والبراء" وأساسيات الفكر الجهادي السياسي الشرعي المعاصر كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم[٢٩].

فالتيار السلفي الجهادي يرى أن التغيير بالقوة أنسب وأصح الوسائل للتحرر وتحكيم الشريعة وتصحيح البنية الأساسية الدينية والاجتماعية والسياسية. وتركيز على التغيير بالقوة داخل أراضيها بالأساس.

أما السلفية الجهادية في السياق الفلسطيني فإنها تعد حديثة العهد في فلسطين، إذ ظهرت في العام ٢٠٠٦، وتتركز بالكامل في قطاع غزة ولا يكاد يكون لها وجود في الضفة الغربية نتيجة القبضة الأمنية القوية للسلطة الفلسطينية، كما للاحتلال الإسرائيلي، ومن أبرز تنظيماتها جيش الإسلام، وجماعة التوحيد والجهاد.

المبحث الثانى: حركة "حماس" (النشأة – الأهداف – الوسائل):

تعتبر حركة المقاومة الإسلامية "حماس" أبرز الحركات المعبرة عن الخط الأيديولوجي الإسلامي في الساحة الفلسطينية، "فالإسلام منهجها، ومنه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، فهي تحرص في أدبياتها السياسية وخطها الفكري على ربط انطلاقتها بالبعد الإسلامي الذي تحتكم إليه في كل تصرفاتها وتستلهم منه ترشيد خطاها"[٣٠]. وقد عرفت الحركة نفسها بأنها "جناح الإخوان المسلمين في فلسطين"[٣١].

وقد تزامن تأسيس الحركة مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية وانطلاقتها في عام ١٩٨٧ وحسب حماس فإنها تعتبر الثامن من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧ التاريخ الرسمي لتأسيسها، وعلى الرغم من أن بيانها الأول صدر بعد ذلك التاريخ بعدة أيام.

ويمكن تصنيف الأوضاع والعوامل التي ساهمت في تهيئة الأجواء لانطلاق الانتفاضة ولتأسيس حماس في الآن ذاته إلى مجموعتين: الأولى متعلقة بتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الصعيد الوطني العام، والمؤثرة في صلب مسيرة القضية الفلسطينية. والأخرى مرتبطة بسياق التطور الذاتي الفكري والسياسي للحركة الإسلامية في الأرض المحتلة، وبصورة أولية في قطاع غزة.

على صعيد الحركة الإسلامية، فإنها اقتنعت بضرورة الانتقال من الصفوف الخلفية إلى الواجهة السياسية، من خلال العمل المقاوم ضد الاحتلال. وهذا الاقتناع ترسخ مع تجربة التنظيم العسكري الذي شكله الشيخ أحمد ياسين في أوائل الثمانينات، واكتشف سنة ١٩٨٤[٣٢]، وما تبعه من مجموعات عسكرية متفرقة وغير منتظمة. كما ترسخ مع تجربة الاقتناع مع بروز الجهد العسكري لتنظيم "الجهاد الإسلامي" منذ أواسط الثمانينات. أما على المستوى الإسلامي الحركي، فقد أسهمت تلك الجهود في تفعيل النقاش الإيجابي داخل الحركة الأم: "الإخوان المسلمين"، بشأن ضرورة الشروع في تبديل أولويات الحركة لمصلحة برنامج المقاومة المباشرة للاحتلال[٣٣]. وقد قدم الترحاب الشعبي والجماهيري الذي حظيت العمليات العسكرية الجهادية دليلاً ساطعًا على رجاحة خيار تقديم أولوية المقاومة على أولوية التغيير، أو وضع الأولويتين على قدم المساواة والأهمية.

إن الأجواء الإقليمية ذات العلاقة ساهمت في تنامي الصحوة الإسلامية في المنطقة، وفي تزايد قوة التيار الإسلامي ونفوذه تزايدًا مطردًا، في مقابل الانحسار الملحوظ لسيطرة تيارات اليسار والقومية على الشارع العربي، وساهمت أيضًا في تزويد إسلاميي الأرض المحتلة بجرعات كبيرة من الثقة في النفس، بحيث طمأنتهم بأنهم جزء من ظاهرة شاملة آخذة في النمو والصعود في بلاد عربية وإسلامية كثيرة، وبأنهم ليسوا معزولين ولا منقطعين عن أي عمق خارجي[٣٤].

وفي السادس من كانون الأول/ ديسمبر، قتل أحد أفراد "الجهاد الإسلامي" أيضًا مستوطنًا إسرائيليًا طعنًا بالسكين في الميدان الرئيسي مدينة غزة[٣٥]. وأعقب تلك

الحادثة هيجان وتصعيد داخل الأوساط الإسرائيلية. وحدثت في مناخ ذلك الهيجان أن قامت شاحنة إسرائيلية بدهس عمال فلسطينيين في أثناء عودتهم من أماكن عملهم، الأمر الذي أسفر عن استشهاد أربعة وجرح تسعة آخرين. وكان ذلك في الثامن من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧، التاريخ الرسمي لانطلاق الانتفاضة. ويومها ثارت التظاهرات الجماهيرية في منطقة جباليا في قطاع غزة، التي ينتمي إليها ثلاثة من الشهداء الأربعة. وانتقلت الشرارة إلى المناطق الأخرى، فلامست الغليان والحال الشعبية المتوترة والمتراكمة منذ أشهر[٣٦].

في مساء اليوم التالي لحادثة استشهاد الفلسطينيين الأربعة، اجتمع المكتب السياسي لـ "الإخوان المسلمين" في غزة، واعتبر الحادثة وردة الفعل الجماهيرية عليها اللحظة المطلوبة والمنتظرة للانخراط عمليًا في الصدام ضد الاحتلال، وتقديمها كأولوية.

في ذلك الاجتماع، صيغ البيان الأول لـ"حركة المقاومة الإسلامية"، واعتبر الاجتماع اللقاء التأسيسي لـ"حماس" والحاضرون هم المؤسسين: الشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وصلاح شحادة ومحمد شمعة وعيسى النشار وعبد الفتاح دخان وإبراهيم اليازوري[٣٧].

ومن هنا بدا المولد الحقيقي لأهداف الحركة، وتفاعلها بين تغيير الواقع وثبات الأيديولوجية الدينية، ومنازلة الباطل وقهره ليسود الحق ويعود الوطن وتقوم دولة الإسلام، فكان عملها كحركة تحرير وطني وكحركة إسلامية لها ارتباطها بالواقع الفلسطيني سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا مع خصوصيتها، والتزامها بالثوابت الدينية والعمل على إزالة الاحتلال، تزامنًا مع النظرة الشمولية للحركة الإسلامية العالمية، "أرض فلسطين وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة لا يصح التفريط بها أو جزء منها أو التنازل عنها"[٣٨].

إن الهدف الرئيسي لحركة "حماس" في كل مراحلها منذ تأسيسها، هو العمل على إنهاء الاحتلال، وتحقيق الاستقلال والحرية للشعب الفلسطيني وإقامة الدولة الإسلامية كما أوضحت في وثائقها[٣٩]. وتشير أدبيات "حماس" إلى أن أول بيان وضح أهدافها كان البيان رقم (٥) الصادر في كانون ثاني/ يناير ١٩٨٨ ونص على ما يلي[٤٠]:

الهدف العام: هدف عام يتمثل بإقامة الدولة الإسلامية:

وهنا يُلاحظ أن حركة "حماس" لها خصوصية كونها حركة تحرر وطني تقع في القالب الفلسطيني من جهة، وكونها حركة إسلامية من جهة أخرى، وحيث إن "حماس" حركة مقاومة، والمقاومة هدفها التحرير، وبعد التحرير يتوجب إقامة الدولة، فإنها ترى في تعاملها مع الهدف حسب رئيس مكتبها السياسي السابق أن إقامة الدولة الإسلامية أمر سابق لأوانه – في المنظور القريب – فحركة "حماس" حركة مقاومة، وإذا ما أتيح لهذه المقاومة تحقيق هدفها وهو تحرير فلسطين، فبعد مرحلة التحرير تأتي مرحلة إقامة الدولة فإذا كانت "حماس" هي التي قادت الشعب الفلسطيني نحو التحرير، فمن حقها أن تتبنى نموذج الحكم الذي تؤمن به، وإن كانت أقلية فستحترم اختيار الأغلبية[٤١].

الهدف الاستراتيجي: الهدف الاستراتيجي يتمثل بتحرير كامل فلسطين:

حركة المقاومة الإسلامية "حماس" تسعى لتحرير كل الأرض الفلسطينية، كما أشار ميثاقها إلى أن "قضية تحرير فلسطين تتعلق بدوائر ثلاث: الدائرة الفلسطينية، والدائرة العربية، والدائرة الإسلامية، وكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث لها دور هام في الصراع مع الصهيونية وعليها واجبات، وترى هنا "حماس" أن القتال والتحرير يقع على الفلسطينيين، فإن لم يستطيعوا فيقع على الذين يلونهم من المسلمين، وفي النهاية تتسع الدائرة ويصبح القتال والتحرير فرض عين على المسلمين، وظلت بيانات "حماس" التي تصدر سرًا تتحدث بوضوح عن كامل التحرير "حيث تعتبر حركة المقاومة الإسلامية نفسها رأس حربة أو خطوة على الطريق"[٤٢].

ترى "حماس" أولوية وأفضلية الداخل على الخارج، ولكن مشروع المقاومة الداخلية هو أساس الحل، بمساعدة من الخارج، وهذا يتم عبر تقديم المساعدات والإمدادات والتجهيزات الهامة التي تساعد في التحرير، وتدفع في اتجاهه[٤٣]. وتعتبر حركة المقاومة الإسلامية نفسها رأس حربة، وتتعارض المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فحركة المقاومة الإسلامية تعتبر المؤتمرات والمبادرات مضيعة للوقت، وشيئًا من العبث والشعب الفلسطيني أكرم من أن يُعبث بمستقبله ومصيره[٤٤].

فالهدف من التحرير هو سيادة السلام على أرض الإسلام، ولن يتحقق الأمن والسلام في فلسطين إلا في ظل الإسلام، لأنه هو الذي يوفر الأمن والأمان على النفس والمال والحقوق، وبدون الإسلام لن يتحقق عدل وسيبقى الصراع قائمًا ويعم الفساد[٤٥].

بهذه المنطلقات والأهداف عبرت حركة حماس عن نشأتها، رغم أن الكثيرون قد عبروا عن حالة الشك والخوف من ماهية هذه الحركة، لدرجة أن البعض اتهم أجهزة أمنية إسرائيلية بتأسيسها في إطار مخطط لضرب منظمة التحرير الفلسطينية، والقضاء على المشروع الوطني الفلسطيني، معتبرين أن ما جاء من أدبيات في ميثاقها يأتي في إطار العموميات ولا يعبر عن وجهتها الحقيقية[٤٦].

وسائل حركة "حماس":

انتهجت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" مجموعة من الوسائل المختلفة من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية والمرحلية والظرفية، وأهم الوسائل التي تبنتها الحركة هي:

أ- التعبئة والتوجيه في المساجد:

عملت "حماس" منذ اللحظة الأولى على السيطرة على المساجد في قطاع غزة والضفة الغربية، ولأن "حماس" هي حركة تحرير وطني إسلامي، فهدفها الأول، تربية الأجيال تربية إسلامية، وعملت على إخراج المساجد من سيطرة الاحتلال الإسرائيلي، والأوقاف الأردنية، وأصبح المسجد نقطة انطلاق لكسب تعاطف الشارع الفلس"يني.

اعتبرت "حماس" الاعتداء على المساجد في مرحلة ما بعد قيام السلطة الفلسطينية خطًا أحمر لا يُسكت عنه، وذلك في بيان أصدرته "حماس" بعد قرار السلطة بإغلاق المساجد بعد أداء الصلوات، والحد من مختلف أنشطتها[٤٧].

من هنا نرى أن "حماس" أولت المسجد، وهو أحد مؤسساتها الخاصة، أهمية كبرى، لاسيما وأنه أهم آليات النشاط الاجتماعي والسياسي لها، إذ وفر آلية دائمة منتظمة لمختلف أشكال النشاط، إضافة لكونه مكان عبادة، وأصبح المسجد ساحة للتعبئة الجهادية والمقاومة، ومكان للتحريض على مؤسسات منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، وانطلاق المظاهرات والمسيرات والاحتجاجات والهتاف والتكبير، ومكان

توزيع المساعدات وأصبحت خطب المساجد وسيلة لتعبئة الشارع الفلسطيني، بما يتناسب وأجندة "حماس".

ب- العمل السياسي والإعلامي:

مارست حركة "حماس" أساليب شتى سياسيًا وإعلاميًا، كعقد الندوات والمهرجانات السياسية، وإقامة المعارض الإسلامية، وطبع الكتيبات والنشرات الداخلية من بيانات ومنشورات وإحياء ذكرى الشهداء، والمناسبات الإسلامية حتى تطور عملها السياسي والإعلامي لتشمل العلاقات السياسية والمحلية والدولية[٤٨]، وللعلم فإن الحركة لم يعلن عنها إلا من خلا بياناتها، واشتملت بياناتها على جملة مضامين وقضايا أهمها[٤٩]:

١- إدارة الانتفاضة الأولى والثانية وتوجيهها ومعالجة أمورها.
٢- الوحدة الوطنية.
٣- الرواية السياسية والفكرية للحركة.
٤- تطرح فلسفة الصراع مع إسرائيل وطبيعته.
٥- الدعوة لتفعيل الدور العربي الإسلامي.

أصدرت الحركة بيانات مشركة مع فصائل فلسطينية أخرى مثل (فتح، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية) وأدى ذلك إلى تدخل الاحتلال بإصدار بيانات مزورة، واضطرار الحركة إلى إصدار بيانات أخرى لتفويت الفرصة على الاحتلال، وأكدت هذه الحقيقة في بيان لها يحمل رقم (٤٩) للعام الثاني من الانتفاضة (التحذير) من البيانات المدسوسة على لسان الحركة، كالبيان الذي هاجم أهالي بيت ساحور وأعلنت "حماس" أنها حركة كل الجماهير الفلسطينية مسلميهم ومسيحييهم دون أي تمييز ملتزمة نهج القرآن[٥٠].

جـ- الانتخابات النقابية والمهنية:

عملت "حماس" على كسب التأييد الجماهيري الواسع من خلال مشاركتها في الانتخابات النقابية والمهنية، واستطاعت أن تفوز بنسبة تتراوح بين (٣٥-٥٠%) في المتوسط في مختلف المواقع، بسبب بروزها كقوة إسلامية، مع تراجع أداء فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وضعف اليسار الفلسطيني.

والانتخابات غير السياسية وسيلة من وسائل الحركة في أسلمة المؤسسات، وتحويل المبادئ والشعارات إلى برامج ومشاريع[٥١]. ثم تطورت الحركة في عملها السياسي من خلال دخولها انتخابات المجلس التشريعي في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦.

كل هذه الوسائل والأهداف جعلت حركة حماس تعتمد على هياكل وبنى تنظيمية متماسكة، تميزت بالمؤسسية، وتشابكت جميعها، في خدمة برامج وتطلعات الحركة، وواكبت تطور الحركة في مراحلها المختلفة.

المبحث الثالث: حركة الجهاد الإسلامي (النشأة – الأهداف – الوسائل):

التعريف بالحركة:

حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين حركة إسلامية فلسطينية مقاتلة، تبلورت تنظيميًا في مطلع الثمانينات داخل فلسطين المحتلة، بعد أن كانت حوارًا فكريًا وسياسيًا امتد منذ منتصف السبعينات في أواسط بعض الطلبة الفلسطينيين الدارسين وقتها في مصر، وقد شمل هذا الحوار مسائل منهجية تتعلق بفهم الإسلام والعالم وكيفية رؤية وفهم التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص[٥٢].

كان الفهم المنهجي للإسلام كعقيدة وأصول دين وفقه وشريعة استنادًا إلى القرآن والسنة هو نقطة البدء، كما كان وعي الحركة المبكر بالتاريخ وإحساسها العميق بهذه الموضوعية سبيلاً لرؤية العالم على حقيقته، كما سهل استيعاب ووعي أداة التنفيذ وصولاً إلى إدراك خصوصية فلسطين في الإشكال الإسلامي المعاصر، واعتبارها بالتالي القضية المركزية للحركة الإسلامية والأمة الإسلامية، وقد استند هذا الاعتبار إلى فهم قرآني، كان أوضح ما يكون في سورة الإسراء كما في مواضيع عديدة أخرى من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[٥٣]. كما ساهم الفهم المنهجي للتاريخ والواقع في الوصول إلى مركزية وخصوصية فلسطين، فكل هذا نضعه كأساس نقيم عليه حركتنا في هذه المرحلة أو هذا التوقيت من التاريخ، وحركة الجهاد الإسلامي كحركة تجديدية داخل هذا الفكر الإسلامي بدأت تتساءل وتطرح إجابات كيف يمكن أن يهتم الإسلام بعلومه وفقهه من خلال رؤية منهجية تستخدم الأدوات المعرفية والتاريخ"[٥٤].

فحركة الجهاد الإسلامي تحمل رؤية تجديدية داخل الفكر الإسلامي، ورؤية تجديدية داخل الحركة الإسلامية، وهي تدعو الأمة إلى الخروج من جمودها التقليدي وأن تتسلح بالوعي والمعرفة، وحركة الجهاد الإسلامي تقدر أعمال وأفكار المجاهدين المسلمين والطائعيين، وإن الحركة قامت على أسس واضحة تتمثل في أن[٥٥]:

١. القضية الفلسطينية مركزية للأمة الإسلامية وتحريرها واجب على المسلمين جميعًا.
٢. الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين.
٣. الإيمان الراسخ بحتمية النصر.
٤. استخدام النظرة العلمية المتجردة من التعصب يحجب الناظر لفهم التراث الإسلامي.
٥. تقدير جهود علماء الأمة الإسلامية على مر العصور واختلاف الأقاليم والمذاهب.

دواعي النشأة:

أدى غياب التيار الديني عن الفعل في الساحة الفلسطينية بعد حرب عام ١٩٦٧ إلى حدوث نوع من التناقض بين العمل الديني والعمل الوطني، والذي برز بشكل واضح في الصراع بين الكتل الطلابية المختلفة في المعاهد والجامعات الفلسطينية. المنبع الأساس للعمل الوطني والإسلامي، إذ جاء هذا التناقض بعد فترة من الوفاق الواسع ما بين هو وطني وما هو إسلامي على امتداد النضال الفلسطيني منذ الانتداب البريطاني[٥٦].

مع نهاية السبعينات كان الحوار الفكري والسياسي المشار إليه في أوساط بعض الشباب الفلسطيني المسلم المثقف أثناء دراستهم في مصر يدور بين توجهين[٥]:

- التوجه الأول: تبنته حركة الإخوان المسلمون وركز كل الجهود على الفعل التربوي عبر النشاطات الثقافية والعبادية في صورته النظرية وترجمته ليشمل حياة الأفراد.

- التوجه الثاني: والذي لا يغفل التربية ولا يقلل من أهميتها، ولكنها لن تكون مكتملة إلا من خلال المحك العملي عبر ممارسة الجهاد ضد الأعداء بكافة أشكالهم وفي كل مواقفهم وعلى وجه الخصوص في فلسطين بما تمثله من خصوصية لكونها

تمثل مركزية الصراع مع الأعداء، وهذا التوجه الذي حملته حركة الجهاد الإسلامي بالإضافة إلى مجموعة من العوامل التي تحددها الحركة وهي[٥٨]:

١- فشل الاستراتيجيات الأخرى من قومية عربية ووطنية فلسطينية وجهود دولية في تحرير فلسطين، وأصبح واضحًا بعد الهزيمة فشل جميع الطروحات غير الإسلامية.

٢- انبعاث حركات الإحياء الديني في العالم العربي والإسلامي والتي تؤكد على شمولية الإسلام، وعدم جدوى أخذ جانب دون جانب، وأن الجهاد هو أساس أي حركة إسلامية جادة، وكانت الثورة الإسلامية الإيرانية، البرهان على هذه القناعة.

٣- الموقف السلبي من الجهاد المسلح ضد الاحتلال، الذي اتخذته الحركات الإسلامية التي كانت قائمة على الساحة الفلسطينية، إذ تصف الحركة هذه المرحلة بمرحلة وجود وطنيون بلا إسلام وإسلاميون بلا فلسطين، فالحركة الوطنية أثنت الإسلام كأيديولوجية من برامجها، وتبنت الأفكار الماركسية والعلمانية والقومية، وهي أفكار ليست لها جذور تاريخية، ولا اجتماعية في المنطقة، بل هي وافدة تدخل ضمن الأفكار الوافدة، والتي حاول الغرب أن يصدر ليكرس مشروع الهزيمة، أما الحركة الإسلامية التقليدية فالأسباب عديدة وموضوعية وذاتية، كانت تؤجل الإجابة على السؤال الفلسطيني لأنها لم تمتلك رؤية واضحة بهذا الخصوص.

٤- استمرار الاحتلال الإسرائيلي وممارساته التي كانت تدفع المواطنين إلى الثورة دفعًا، وتغذي الاتجاه الإسلامي الجهادي.

شكلت العوامل السابقة الدافع الأساسي لتجمع لمؤسسين الأوائل لحركة الجهاد الإسلامي، والمحور الرئيسي الذي تبلورت حوله أفكارهم، وتوجهاتهم. فعندما اشتدت ملاحقة الأجهزة الأمنية المصرية للمؤسس (فتحي الشقاقي) غادر مصر إلى قطاع غزة – وبعد وقت قصير من وصوله، أي في نهاية عام ١٩٨١م تم تشكيل كتلة (الإسلاميين المستقلين) الطلابية في الجامعة الإسلامية، وحققت الكتلة نتائج في أول انتخابات جرت في كانون ثان ١٩٨٢م. وشهدت الحركة في هذه المرحلة عملاً جماهيريًا وسياسيًا وإعلاميًا، ومارست نشاطها في كافة الساحات والأماكن كالمساجد والبيوت والشوارع والمدارس والمعاهد والجمعيات والجامعات والمؤسسات النقابية[٥٩].

ففي حين نادى المجمع الإسلامي – المؤسسة الاجتماعية المركزية للإخوان المسلمين في قطاع غزة – بتثقيف الجمهور سياسيًا، نادى الجهاد الإسلامي بتطبيق فلسفته بأعمال مباشرة ضد إسرائي، بدلاً من الصراع على المؤسسات، أو إقامة الجمعيات الخيرية[٦٠].

مارست عناصر الجهاد الإسلامي هذه الأشكال من النشاطات تحت مسميات عدة مثل (الإسلاميون المستقلون) و(الحركة الطلابية الإسلامية) و(التيار الإسلامي الثوري).

وكان لمساجد القطاع الدور الأكبر في احتضان الدعوة الجديدة ونشرها من خلال خطب الجمعة والاحتفالات الدينية المختلفة وأهم هذه المساجد: مسجد (السلام) في رفح ومسجد حسن البنا على شاطئ مدينة غزة المعروف بمسجد (عنان)، ومسجد (الرحمن) في الشجاعية، ومسجد (الشهيد عز الدين القسام) في مشروع بيت لاهيا بقطاع غزة وتميزت خطب الجمعة بجرأتها ومنهجيتها وشمولها لكافة القضايا على الساحتين الإسلامية والفلسطينية، وأصبح الخطاب السياسي جزءًا من الخطاب الديني في هذه المساجد[٦١].

وحرص الجهاد الإسلامي كذلك على إصدار مجموعة من الكتيبات ضمن سلسلة (دفاتر إسلامية)، وسلسلة (نحو طلائع إسلامية واعية)، ورافق هذا النشاط الندوات الدينية ودروس العلم والدعوة والثقيف في المساجد والبيوت والجامعات[٦٢].

لم تسعى حركة الجهاد الإسلامي في تلك المرحلة إلى تأسيس الجمعيات والمؤسسات ضمن آليات انتشارها كما فعل الإخوان المسلمون، لأنها رأت أن مثل هذه المؤسسات تحمل التنظيم أعباء لا لزوم لها وتضطره إلى التنازل أمام ضغط النظام[٦٣].

ثم انطلق عمل الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية بعدما انتقل مؤسسها فتحي الشقاقي للعمل كطبيبًا في مستشفى المطلع بالقدس، حيث أقام علاقات واسعة في مختلف مناطق الضفة الغربية واستقطب كثيرًا من الشباب الذين قاموا بنشر أفكار الحركة بين زملائهم. وكانت المساجد إلى جانب الجامعات منطلقًا للرواد الأوائل لحركة الجهاد الإسلامي للدعوة وإيجاد الكوادر مثلما كانت في قطاع غزة[٦٤].

أهداف ووسائل حركة الجهاد الإسلامي[٦٥]:

١- تحرير كامل فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني، وإقامة حكم الإسلام على أرض فلسطين والذي يكفل تحقيق العدل والحرية والمساواة والشورى.
٢- تعبئة الجماهير الفلسطينية وإعدادها إعدادًا جهاديًا، عسكريًا وسياسيًا، بكل الوسائل التربوية والتثقيفية والتنظيمية الممكنة لتأهيلها للقيام بواجبها الجهادي تجاه فلسطين.
٣- استنهاض وحشد جماهير الأمة الإسلامية في كل مكان وحثها على القيام بدورها التاريخي لخوض المعركة الفاصلة مع الكيان الصهيوني[٦٦].
٤- العمل على توحيد الجهود الإسلامية الملتزمة باتجاه فلسطين، وتوطيد العلاقة مع الحركات الإسلامية والتحررية الصديقة في كافة أنحاء العالم.
٥- الدعوة إلى الإسلام بعقيدته وشريعته وآدابه، وإبلاغ تعاليمه لكافة قطاعات الشعب

أما فيما يتعلق بوسائل الحركة كما عبرت في وثائقها فهي[٦٧]:

١- ممارسة الجهاد المسلح ضد أهداف ومصالح العدو الصهيوني.
٢- إعداد وتنظيم الجماهير واستقطابها إلى صفوف الحركة وتأهيلها تأهيلاً شاملاً وفق منهج مستمد من القرآن والسنة وتراث الأمة الصالح.
٣- مد أسباب الاتصال والتعاون مع الحركات والمنظمات الإسلامية والشعبية والقوى التحريرية في العالم لدعم الجهاد ضد الكيان الصهيوني، ومناهضة النفوذ الصهيوني العالمي.
٤- السعي للقاء فصائل الشعب الفلسطيني الإسلامية والوطنية منها على أرض المعركة ضد الكيان الصهيوني، على أرضية عدم الاعتراف بهذا الكيان وبناء التشكيلات والمنظمات والمؤسسات الشعبية اللازمة لنهوض العمل الإسلامي والثوري.
٥- اتخاذ كافة الوسائل التعليمية والتنظيمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والسياسية والعسكرية، مما يبيحه الشرع وتنضجه التجربة من أجل تحقيق الأهداف الحركية.

٦- استخدام كل طرائق التأثير والتبليغ المتاحة والمناسبة من وسائل الاتصال المعروفة.
٧- انتهاج مؤسسات الحركة وتنظيماتها من أساليب الدراسة والتخطيط والبرمجة والتقويم والمراقبة بما يكفل استقرار الحركة.

بذلك صاغت حركة الجهاد الإسلامي خصوصيتها في الساحة الفلسطينية بتركيزها على العمل الجهادي المسلح، ومنحه الأولوية الأولى عن أي مسار من المسارات الأخرى، إذ نجد أن الجهاد بدت في تأسيسها بحالة من التمايز عن جماعة الإخوان المسلمين كحالة إسلامية تقليدية، وكذلك عن فصائل منظمة التحرير، التي تبنت الوطنية على حساب غياب الإسلام كمنهج في العمل السياسي والوطني.

ومما سبق من أهداف ومنطلقات للحركات السياسية الإسلامية في فلسطين (حماس والجهاد الإسلامي) يقودنا للتعرف على موقف تلك الحركات من المشروع الوطني الفلسطيني.

النتائج:

١- أن "الحركات الإسلامية الفلسطينية لا تؤمن بإمكانية تحقيق تسوية سلمية – سياسية للصراع مع إسرائيل، يمكن اعتبارها نهاية لهذا الصراع.
٢- أن الحركات الإسلامية وبالتحديد "حماس" قد أعطت الصراع بعدًا حضاريًا
٣- لا يمكن إنكار أو تجاوز البعد الديني في مكونات خارطة العمل السياسي الفلسطيني.
٤- اتخذ البعد الديني دورًا مميزًا في مجريات المشهد الفلسطيني، وبصور مختلفة لامست فكر ومنطلقات الحركة الوطنية بأسرها.
٥- سعت حركة حماس لتأسيس نظام سياسي جديد ذو مرجعية جديدة.
٦- اتفاق الحركات الإسلامية وتشابك مواقف حركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" في رؤيتهما لطبيعة الصراع مع المشروع الصهيوني.
٧- أنتجت الحركات الإسلامية إطارًا جديدًا هو الإطار الإسلامي يوازي الإطار الوطني الذي تمثله منظمة التحرير.
٨- فشل الحركات الإسلامية في إدارة الصراع.
٩- تفوق "حماس" على "الجهاد الإسلامي" في طبيعة المؤسسات الداخلية لها. وارتكاز "الجهاد الإسلامي" على إعطاء الأولوية للعمل العسكري والجهادي ضد إسرائيل على حساب مؤسساتها السياسية والاجتماعية.
١٠-تفضيل "الجهاد الإسلامي" عدم التركيز على المؤسسات السياسية.

التوصيات:

١- استهداف تحرير كل فلسطين.
٢- دعم الوحدة الوطنية والعربية والإسلامية.
٣- ضرورة العمل على حشد الطاقات العربية والإسلامية، وتوحيد الأمة، والاصطفاف نحو هدف تحرير فلسطين.
٤- توحيد كل الاتجاهات الوطنية العاملة بالساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين.
٥- هناك حاجة إسلامية ووطنية لإعادة بناء منظمة التحرير بحيث تغدو صالحة لضم كافة قوى الشعب الفلسطيني بما في ذلك "حماس" و"الجهاد الإسلامي" وبما يخدم التوجه الإسلامي على المدى الطويل تثبيتًا لمشروع المقاومة.

المراجع:

١- جواد الحمد، الدين والسياسة والتحولات في الوطن العربي، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط١، عمان، ٢٠٠٧، ص ص٥-٨.
٢- بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، عكا، ١٩٨٤.
٣- بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات، المرجع السابق.
٤- محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، رؤية الداخل ١٩٢٨-١٩٤٨، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص٧٥.
٥- د. خالد الحروب، "حماس الفكر والممارسة السياسية مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٢.
٦- يطلق اسم جمعية عثمانية على الجمعيات والمؤسسات الخيرية المرخصة وفقًا لقانون الجمعيات العثمانية الصادر عام ١٩٠٧، حيث استمر العمل وفق هذا القانون إلى أن صدر قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية في فلسطين بمرسوم من الرئيس ياسر عرفات بتاريخ ٢٠٠٠/١/١٦. والذي عرف بقانون رقم (١) الصادر لسنة ٢٠٠٠. وبموجبه ألغى العمل بالقانون العثماني، مع العلم أن الضفة الغربية اتبعت قانون الجمعيات الخيرية رقم (٣٣) لسنة ١٩٦٦، واستمر العمل به حتى صدور قانون الجمعيات الفلسطينية لعام ٢٠٠٠.
٧- د. عاطف عدوان، السياسة المصرية نحو الحركة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص١٤٣.
٨- د. زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة.. جماعة الإخوان المسلمين، وحركة الجهاد الإسلامي، دار الأسوار، ط١، عكا، القدس، ١٩٨٩، ص٢٥.
٩- د. بشير موسى نافع، الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠، مركز فلسطين للدراسات والبحوث، غزة، ١٩٩٦.
١٠- د. إياد البرغوثي، الأسلمة السياسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، القدس، ١٩٩٠، ص١٧.
١١- د. خالد الحروب، "حماس" الفكر والممارسة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص١٨.
١٢- د. خالد الحروب، "حماس" الفكر والممارسة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص٢٩.
١٣- مقابلة أجراها الباحث مع السيد عبد العزيز شاهين عضو المجلس الاستشاري لحركة فتح بمنزله بمدينة القاهرة، الساعة العاشرة صباحًا يوم الموافق ٢٠١٢/٢/٩.
١٤- د. خالد الحروب، "حماس" الفكر والممارسة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص٢٩.
١٥- د. خالد الحروب، "حماس" الفكر والممارسة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص٣١.
١٦- مقابلة مع الدكتور محمود الزهار، عضو المكتب السياسي لحركة "حماس"، في منزله بغزة، يوم ٢٠١٢/١٠/١١، الساعة الثالثة عصرًا.
١٧- د. خالد الحروب، "حماس" الفكر والممارسة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص٣٢.

١٨- د. خالد الحروب، المرجع السابق.
١٩- د. إبراهيم المقادمة، معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، إصدارات حركة "حماس"، ١٩٩٤.
٢٠- مقابلة مع محمود الزهار، مرجع سابق.
21- Emile Sahliyeh, in search of leadership: west bank politics since 1967 (Washington: the brooking institution, 1988), pp.140-141.
٢٢- د. إياد البرغوثي، الأسلمة والسياسة، مرجع سبق ذكره، ص٧٥.
٢٣- د. عبد الله أبو عبيد، وآخرون، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية ١٩٨٧-١٩٩٦، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٩٩٧، ص٤١.
٢٤- د. عبد الله أبو عبيد، وآخرون، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة، المصدر السابق.
٢٥- جهاد محمد جهاد، الانتفاضة المباركة ومستقبلها، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٨، ص٤١.
٢٦- د. عاطف عدوان، السياسة المصرية نحو الحركة الإسلامية في قطاع غزة، مرجع سبق ذكره.
٢٧- جهاد العايش، السلفية في فلسطين، المرجع السابق.
٢٨- مقابلة مع الشيخ ياسين الأسطل في غزة، صحيفة الأيام الفلسطينية، بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٦.
٢٩- محمد أبو رمان، الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي: المقاربات الأولويات، الاستراتيجيات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٤٥.
٣٠- محمد أبو رمان، الإصلاح السياسي، المرجع السابق.
٣١- ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، الصادر في غزة، ١٩٨٨/٨/١٨.
٣٢- البيان الأول الصادر عن حركة "حماس" بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٤.
٣٣- مقابلة مع الدكتور محمود الزهار، مرجع سبق ذكره.
٣٤- حاتم يوسف أبو زايدة، كتائب الشهيد عز الدين القسام (١٩٨٢-٢٠٠٠)، رؤية بحثية، مركز أبحاث المستقبل، غزة، ٢٠١١، ص٧١.
٣٥- مقابلة مع الدكتور محمود الزهار، مرجع سبق ذكره.
٣٦- حاتم يوسف أبو زايدة، كتائب الشهيد عز الدين القسام، مرجع سبق ذكره، ص٨٣.
٣٧- حاتم يوسف أبو زايدة، المرجع السابق.
٣٨- مقابلة أجراها الباحث مع الشيخ محمد حسن شمعة، أحد مؤسسين الحركة، في مكتبه، بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٢، الساعة التاسعة صباحًا.
٣٩- ميثاق حركة حماس، مرجع سبق ذكره.
٤٠- مقابلة مع محمد شمعة، مرجع سبق ذكره.
٤١- بيان حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، رقم (٥) بمدينة غزة، في كانون ثاني/ يناير ١٩٨٨.
٤٢- محمد برهومة، أهداف حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، في د. جواد الحمد وإياد البرغوثي (محرران)، مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

٤٣- ميثاق حركة "حماس"، مرجع سبق ذكره.
٤٤- مقابلة مع الشيخ محمد شمعة، مرجع سبق ذكره.
٤٥- ميثاق حركة حماس، المرجع السابق.
٤٦- ميثاق حركة حماس، المرجع السابق.
٤٧- بكر أبو بكر، "حماس".. سيوف ومنابر، مؤسسة الأيام، ط١، رام الله، ٢٠٠٧، ص١٧.
٤٨- مقابلة مع محمد حسن شمعة، مرجع سبق ذكره.
٤٩- مقابلة مع محمد حسن شمعة، مرجع سبق ذكره.
٥٠- بيانات الحركة من خلال الأرشيف المتوفر لدى الحركة في مدينة غزة.
٥١- بيان صادر عن حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، رقم (٤٩)، مصدر سابق.
٥٢- د. محمود الزهار، الحركة الإسلامية.. حقائق وأرقام بين الحقيقة والوهم، مصدر سابق.
٥٣- حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، تعريف بنشأة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، إصدارات الحركة، غزة، ٢٠٠١، ص٣.
٥٤- حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، تعريف بنشأة حركة الجهاد الإسلامي، المرجع السابق.
٥٥- د. فتحي الشقاقي، المنهج، مقدمة حول مركزية القضية الفلسطينية والمشروع الإسلامي المعاصر، بيت المقدس للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ نشر.
٥٦- مقابلة مع الشيخ نافد عزام، عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي بتاريخ ٢٠١٢/٤.
٥٧- فيصل دراج وجمال باروت، "الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية"، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ج٢، ص١٦٠.
٥٨- بشير نافع، الإسلاميون الفلسطينيون، ص٢٥.
٥٩- مقابلة شخصية مع الشيخ نافد عزام.
٦٠- د. زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مرجع سبق ذكره، ص٦٣.
٦١- مقابلة مع نافذ عزام، مرجع سبق ذكره.
٦٢- يوسف عارف الحاج محمد، المسيرة الجهادية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مؤسسة مهجة القدس، غزة، ٢٠١٠، ص١١.
٦٣- يوسف عارف الحاج محمد، المسيرة الجهادية لحركة الجهاد الإسلامي، المرجع السابق، ص١١.
٦٤- د. زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مرجع سبق ذكره، ص٦٦.
٦٥- يوسف عارف الحاج محمد، المسيرة الجهادية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مرجع سبق ذكره، ص١٧.
٦٦- د. فتحي الشقاقي، المنهج، مرجع سبق ذكره، ص٣٧.
٦٧- حركة الجهاد الإسلامي، التعريف بنشأة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مرجع سبق ذكره، ص٥.
٦٨- حركة الجهاد الإسلامي، التعريف بنشأة حركة الجهاد الإسلامي، المرجع السابق.